آثار الحوار بين الأديان على المستويات الثقافي، الفكري، التربوي، والتعليمي

علاء عبد العباس الخفاجي
طالب دكتوراه ، كلية العلوم والمعارف ، جامعة المصطفى العالمية ، قم ، ايران
alaaalhfaji@gmail.com
الدكتور منذر محسن حسن الحكيم
أستاذ ، قسم التقريب بين المذاهب والأديان ، جامعة المصطفى العالمية، قم ، ايران

The effects of interfaith dialogue on levels Cultural, intellectual, pedagogical, and educational

Alaa Abdel Abbas Al-Khafahi
PhD Student, Faculty of Science and Knowledge, Al-Mustafa International University, Qom, Iran
Dr. Munther Mohsen Hassan Al-Hakim
Professor, Department of Rapprochement between Sects and Religions, Al-Mustafa International University, Qom, Iran

الملخص:-

إن الحوار الديني هو الحقيقة الظاهرة في آيات القرآن الكريم، وهو الاساس القويم للتعايش والتفاهم بين الشعوب والاقوام المختلفة التي تعتنق أفكار ومعتقدات مختلفة، وانطلاقاً من ذلك، نرى أن الحوار في القرآن هو مما تقتضيه حقيقة الخلق والهداية وخاصة مع الإنسان، الذي هو خليفة الله في أرضه، وإنّ القول بأن القرآن ينطوي على أطروحة حوار يتكامل فيها الإنسان، إنّما نقصد به حقيقة ما يتضمنه هذا الكتاب من حقائق دينية وتعاليم مشتركة بين الأديان السماوية جميعاً مع الاختلاف في بعض التشريعات والقوانين تبعاً للزمان والمكان والمجتمع التي نزلت به تلك الشرائع، فلا معنى لأن يكون الحوار في الحق، أو عليه، وإنما يقتضي الحق أن تكون معه، سواء أكنت تنتمي إلى اليهودية، أم إلى المسيحية، أم إلى الإسلام، فكلها أسماء تحققت بالإيمان في تاريخها، وكانت النبوّة سبيلها إلى الله تعالى رغم اختلاف الشرائع، وتمايز الطرائق، وهذا كله لا يضر الإيمان وجوهر الانتماء؛ لأنّه التزام بالشّريعة والمنهاج كما جاء بها النبي ﷺ، ولهذا كان موضع بحثنا هو دراسة منهج القرآن الكريم في حوار الأديان وبيان أثره على الثقافة والفكر، والتربية، والتعليم، وسنبين ذلك بالتفصيل، وكالآتي.

المفردات المفتاحية: آثار، الحوار، الأديان، الثقافي، الفكري، التربوي، والتعليمي.

Abstract:-

Religious dialogue is the apparent truth in the verses of the Holy Qur'an, and it is the correct basis for coexistence and understanding between different peoples and nations that embrace different ideas and beliefs. Based on that, we see that dialogue in the Qur'an is what is required by the truth of creation and guidance, especially with man, who is God's successor in His land, and to say that the Qur'an contains a dissertation of dialogue in which man is integrated, we mean by it the truth of what is included in this book of religious truths and teachings common to all the heavenly religions with the difference in some legislation and laws depending on the time, place and society in which those laws were revealed, so it does not make sense because Dialogue is about the truth, or against it, but the truth requires that you be with it, whether you belong to Judaism, Christianity, or Islam, all of them are names that have been fulfilled by faith in their history, and prophecy was its way to God Almighty despite the different laws, and the differentiation of methods, and this All of it does not harm faith and the essence of belonging; Because it is a commitment to the Sharia and the curriculum as brought by the Prophet (PBUH), and for this reason our research was to study the approach of the Holy Qur'an in the dialogue of religions and to show its impact on culture, thought, education, and teaching, and we will explain that in detail, as follows.

Keywords: antiquities, dialogue, religions, cultural, intellectual.

المطلب الأول: تعريف الحوار في اللغة والاصطلاح

أولاً: تعريف الحوار لغة:

لقد اهتم الباحثون بمفهوم الحوار ووضعوا له عددا من التعريفات لها ارتباط وثيق بمفهومي الجدل والمناقشة، لذا قال ابن منظور: " حَوَاراً وحِواراً ومُحاوَرَةً وحَوِيراً ومَحُورَة بضم الحاء بوزن مَشُورَة أي جواباً وأَحارَ عليه جوابه ردَّه وأَحَرْتُ له جواباً وما أَحارَ بكلمة والاسم من المُحاوَرَةِ الحَوِيرُ... وأَصل الحَوْرِ الرجوع إلى النقص، وهم يَتَحاوَرُون أي يتراجعون الكلام والمُحاوَرَةُ مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة وقد حاوره والمَحُورَةُ من المُحاوَرة مصدر كالمَشُورَةِ من المُشاوَرَة كالمَحْوَرَةِ وما جاءتني عنه مَحُورَة أي ما رجع إِليَّ عنه خبر"[١].

"والمُحَاوَرَةُ: المُجاوَبَةُ. والتَحاوُرُ: التجاوُب. ويقال: كلَّمتُه فما أَحارَ إليَّ جواباً، وما رجَع إليّ حَويراً ولا حويرةً، ولا مَحورةً، ولا حِواراً، أي ما ردَّ جواباً. واستَحَارَهُ، أي استنطَقَه."[٢].

وقال الراغب: " المحاورة والحوار المرادة في الكلام، ومنه التحاور قال الله تعالى: ﴿اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾[٣] وكلمته فارجع إلى حوار."[٤].

ثانياً: تعريف الحوار اصطلاحا:

أورد العلماء تعريفات كثيرة للحوار من أهمها:

التعريف اللغوي للحوار يوضح مدلوله، ولكن كلمة الحوار كما سيأتي تطورت دلالتها، وصارت علماً على فن من فنون المخاطبات له أصوله، وآدابه، وأسلوبه.

ويمكن تعريفه بأنه كلام يتفهم فيه كل طرف من الفريقين المتحاورين وجهة نظر الآخر، ويعرض فيه كل طرف منهما أدلته التي رجَّحت لديه استمساكه بوجهة نظره، ثم يأخذ بتبصر الحقيقة من خلال الأدلة التي تنير له بعض النقاط التي كانت غامضة لديه[٥].

ويمكن تعريف الحوار - أيضاً - بأن يقال:" هو نوع من الحديث بين طرفين أو أكثر، بحيث يجري الكلام بينهما متكافئاً دون أن يستأثر به طرف دون غيره، مع غلبة الهدوء،

ورحابة الصدر، وسماحة النفس، والبعد عن التعصب، والخصومة"[٦] .

والحوار في جملته من الأساليب التي توظف لنقل معلومة لا بطريق الخبر وإنما من خلال السؤال والجواب، ومصطلح الحوار" يتضمن معنى المجاوبة وتداول الكلام في قضية معينة بين طرفين محاور(متحدث) ومحاور (متلقي)، وبغض النظر عن طبيعة موضوع الحوار."[٧].

وذهب بعض الباحثين المعاصرين إلى تعريف الحوار بقوله: "هو نوع من الحديث بين شخصين يتم تداول الكلام بينهما بطريقة ما فلا يستأثر به احدهما دون الآخر، ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة والتعصب"[٨].

وقد ذُكر الحوار في القرآن بمعنى التحاور بين شخصين في ثلاثة مواضع هي:-

١- ﴿فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾[٩].

٢- ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا﴾[١٠].

٣- ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾[١١].

المطلب الثاني: آثار الحوار الديني على المستوى الثقافي

إنّ الانطلاق من حقيقة التنوّع في العقيدة والثقافة ومجال الرؤية، لا يشكّل حائلاً أمام تواصل الإنسان، وإنّما هو طريق إلى الله تعالى، ومن شأن الحوار والتعارف والتعاون أن يُغني هذا التواصل، وأن يجعله أكثر مثالية وإنسانية فيما لو اعتبر في أصوله وجاء في سياقاته بعيداً عن الاستغراق في التنوّع والتعدّد، وكذلك بعيداً عن الانغماس في التجربة التاريخية وما زخرت به من أحداث لا تمتّ إلى الإيمان بصلة. باعتبار أن الحوار له أصوله ومنطلقاته الوجودية والإيمانية التي تفرض على الإنسان مراعاتها والانطلاق منها في فهم الآخر والتعامل معه، فتصحيح المفاهيم على المستوى الثقافي من شأنه توجيه الناس على الفطرة السليمة والاصلاح في الارض واعمارها وفقا للغاية التي من اجلها وجد ال،نسان[١٢].

فإذا لم تلحظ هذه المنطلقات والحقائق فيما أراده الله للإنسان في تنوّعه وتعدّده، واستقلّ الإنسان عن حقيقة التواصل الايماني فيما تعنيه من عبودية، فسيتخذ لنفسه حيّزاً

آخر بعيداً عن حقائق الخلق والتكوين وما تهدف إليه.

وهو ما ينبغي أن ينطلق منه طرفا لحوار كقناعة مسلم بها ابتداءً، فتحديد هذه الغاية في حد ذاتها يعد دافعا مهما من دوافع الحوار(١٣).

هذا فضلاً عمّا يمكن أن تؤول إليه حالة الإنسان من تصادم على مستوى الرؤية الإيمانية، بحيث يكون له من ذلك تحوّلاته الخاصة وديانته الخاصة، التي تبعده عن كونه عبداً ليكون إلهاً، ثم إنه إذا استحال على الإنسان أن يكون متواصلاً مع أهل إيمانه، فكيف يكون له التواصل مع أقوام وشعوب أخرى لا تعترف له بأصوله وفروعه.

إنّ معنى تواصل أهل الإيمان واستمرار الحوار فيما بينهم أن يكون منطلق الحوار وموضوعه الإيمان بكل الرسالات السماوية والاعتراف بها؛ لأنّه لا يمكن التنكّر لحقيقة التعددية، كما لا يمكن التنكّر لحقيقة تواتر الرسل. وهذا أمر يجدر التوقف عنده والاعتبار له، كونه شأناً إلهياً، وليس على الإنسان أن يشكّ في مصدريّة أي رسالة سماوية، وخصوصاً أن هذا الإنسان قد سبق أن اعتبر نفسه امتداداً فيما ينتمي إليه من دين لدين سابق عليه، والى جانب ذلك ينبغي التزام كل طرف من اطراف الحوار الحجة والبرهان الموافقين للمنطق والعقل، ومن يقبل فكرة لا اكراه في الدين يكون قد وثق بالإنسان، وبفطرته وقدرته على الفهم وتميز الحق من الباطل(١٤).

وإذا كان دين الإسلام قد استوعب الديانات السابقة، وتوجّه إلى كثير من أحكامها وتعاليمها بالنقد، فقد سبق لكلّ ديانة، وخاصة للمسيحية، أن توجّهت بالنقد لكثير من الأحكام اليهودية التي حرّفها اليهود واعتبروها من التوراة، وهي ليست من التوراة في شيء وخاصة فيما زعمه اليهود لأنفسهم من امتيازات في الدين والدنيا.

إنّ الإنسان المسلم مدعوّ للحوار في إطار الرؤية الدينية والمبادئ التشريعية العامة التي هي أساس كل حوار، ومن هذه المبادئ احترام الخصوصيات الثقافية للشعوب، والقرآن الكريم يضع البشرية في اطار من التفاهم والدعوة إلى المثل العليا والقيم الكريمة التي تجمع بين بني الانسان على كلمة سواء كثيرة ومتعددة.

القرآن كذلك يُقدم رؤيته الحضارية والثقافية، وقبل ذلك الدينية في سياق رؤية متكاملة

لحقيقة ما عليه الناس من فروق وتفاوت في القدرات والكفايات، وقد دعا إلى الحوار والمجادلة بالحسنى، وإدارة الخلافات وفاقاً للأخوة الإنسانية، فيما لو انعدمت الرؤية الدينية، بحيث يؤدّي الأمر إلى تنافس بنّاء في المصالح والأهداف، فإذا ما تخلّف الناس عن ذلك، فإنهم يكونون قد خالفوا أمر الله وادّعوا زوراً وبهتاناً انتماءهم إلى الأديان، هذا الضرب في الحوار بين الثقافات والحضارات هو الامل المنشود وهو لدواء الشافي من الامراض الثقافية والفكرية التي تخلق الاضطرابات الاجتماعية وهو رسالة التفاعل الحضاري في عالم سريع التغير يدعو إلى التقارب وتبادل الآراء والافكار(١٥).

ولا شك في أن القرآن يقدّم للناس هذه الرؤية ليكونوا على بيّنة من أمرهم فيما يلجؤون إليه من أعمال، وفيما يؤدونه من شعائر وفرائض دينية، كما بيّن القرآن أيضاً معنى أن يتخلّف اليهود والنصارى عن نداء الحق، فدعا إلى عدم اتخاذهم أولياء لكونهم قد جانبوا الصواب، واختاروا أن يكونوا على غير سبيل الهداية. حيث قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى﴾(١٦) وليس ما يذهب إليه هذا الفريق أو ذاك، من أهل الإيمان، وبذلك يكون القرآن قد وضع الأسس السليمة لإدارة عملية الحوار والتعارف الثقافي لإقامة المجتمع السليم، وفق مبادئ احترام الخصوصيات الثقافية للشعوب والأديان المختلفة، وبهذا رسخ القرآن الكريم الحوار بين الحضارات وفتح الآفاق بين الثقافات لما فيه خير البشرية(١٧).

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾(١٨)، والتعارف مقدمة للحوار الثقافي الذي يرتبط بالتعايش السلمي بين جميع الناس بغض النظر عن الدين والمذهب، ويؤسّس لحقيقة علاقة الإنسان بأخيه الإنسان، ضمن نظرة تؤطر أسس علاقة الناس بعضهم ببعض، علاقة لا تتناسى ولا تتجاهل، ولا تخفي أن الإنسان أخٌ لأخيه الإنسان، مشتركان في نظام خلقهما وفي إنسانيَّتهما، وإيمانًا بأن رفعة شأن إنسان على إنسان، وكمال إنسان على إنسان - لا يكون إلا بأن يكون أكرمهم عند الله، برفعة درجة تقواه، من عمل صالح وخلق حسن؛ اتباعًا للمنهج السليم الذي فطر عليه الناس، وهذا التعارف الذي أمر به الله سبحانه هو من المقدمات الاساسية لأي حوار مع الآخر.

فالحوار على المستوى الثقافي من أهم مجالات الحوار بين الأديان؛ لأنه يعتمد على ضرورة التقريب بين الشعوب، والأفراد من الديانات المختلفة عن طريق بناء علاقات قائمة على وحدةِ الفكر الثقافي الإنساني، وتجنّب أيّة مظاهرٍ للعنصريّة الدينية والثقافية التي تؤدّي إلى حدوث النزاعات والخلافات بين الأفراد.

المطلب الثالث: آثار الحوار بين الأديان على المستوى الفكري:

إنّ فهم الدين، واستيعاب ما جاءت به السماء في أصولها الكبرى، وعبّرت عنه من حقائق في التكوين والتشريع، إضافة إلى ما أصّلت له هذه الرسالات المقدّسة من حوار تعاون وتفاعل بين أهل الإيمان من جهة، وبينهم وبين غير المؤمنين من جهة أخرى، إنّ فهم ذلك كلّه من شأنه أن ينير للإنسان طريق الحوار، وأن يهديه إلى السبل الكفيلة بتحقيق الغاية من وجوده وتفاعله وتحاوره... وتأسيساً على هذا كلّه يمكن الحديث عمّا تضمنته الرسالات الدينية من حقائق، وفيما أصّلت له في العقيدة والشريعة والأخلاق، فحوار الإسلام مع اهل الكتاب يرتكز على مبادئ أساسية هي:

١- قبول الاختلاف و التنوع.

٢- عدم الإكراه في الدين والتعاون على البر، والتقوى.

٣- تحريم العدوان و تقييد الحرب أخلاقيا.

حيث لا تزال هذه المبادئ تشكل خلفية ثمينة وصالحة لحوار مستقبلي ناجع ومنفتح بين الديانات الثلاث(١٩).

ومن الجلي أن القرآن الكريم عندما يتحدث عن اليهودية والمسيحية لا يتحدث عن ديانات غريبة، بل يعتبرها نفس الدين الإلهي الذي هو الإسلام من حيث هو تسليم لله وتوحيد له، ولذا أطلق صفة المسلم على النبي إبراهيم عليه السلام واعتبر مختلف الأنبياء مسلمين.

فالنصوص الإسلامية اختطت إطارا دقيقا للتعامل مع أهل الكتاب أساسه البر والتودد لمن يسالم المسلمين و لا يعتدي عليهم، ويحذر القرآن الكريم من التعميم الخاطئ المتمثل في الحكم على أهل ديانة ما بسلوك بعض المنتمين إليها ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ

اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ * يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾[٢٠]، وبهذا يتورع القرآن الكريم عن إدانة العنصر اليهودي كافة، بل يركز على معتقداتهم وأفعالهم وأعمالهم وممارساتهم، ويحترم ويمدح كلّ من انفصل عن أكثريتهم الفاسدة، وخضع للحقّ والإيمان، وهذا هو أسلوب الإسلام الذي لا يعادي أحداً على أساس اللون والعنصر، بل إنما يعاديه على أساس اعتقادي محض، ويكافحه إذا كانت أعماله لا تنطبق مع الحقّ والعدل والخير، لا غير."[٢١].

وبالمقابل، فإن قلة أو عدم الاهتمام بالفكر النقدي والحوار البنّاء، يساهم في ظهور التطرف الفكري، فالاهتمام بالحوار الديني واثراؤه واستثارته للتفكير والتحقيق يتطلب الانفتاح الفكري مع الآخر، واعطاء أهمية للحوار البناء الذي يعتمد البحث العلمي منهجا للوصول إلى افضل النتائج، وتحريك العقول واستثارتها، مما يحد من انتشار ظاهرة التحجر العقلي والتطرف في مجتمعاتنا الاسلامية، الذي نشاهده للأسف من بعض أدعياء العلم والفقه في الدين، فهؤلاء يتشددون بأفكارهم ويؤثرون على المجتمع، ويرفضون كل نوع من الحوار مع الآخر خوفاً من كشف زيفهم، ولا يتقبلون أي نوع من النقد لافكارهم، وبذلك يتطرفون في آراءهم ويدعون الناس إلى التطرف، فالحوار الديني الصحيح هو الذي يرفض استخدام العنف بشتى أنواعه مع أحد من الناس ولا سيما مع من يحاورهم من أهل الكتاب، بل وغيرهم، وهذا ما شهد به أحد كبار الملاحدة، ففي إحدى حوارات تلميذ الإمام الصادق عليه السلام المفضل بن عمر مع ابن أبي العوجاء نجد أنّ المفضل يقسو على ابن أبي العوجاء ويُغلظ له في القول مستخدماً عبارات من قبيل: "يا عدو الله، فيجيبه ابن أبي العوجاء قائلاً: "يا هذا إن كنت من أهل الكلام كلمناك، فإن ثبتت لك حجة تبعناك، وإن لم تكن منهم فلا كلام لك، وإن كنت من أصحاب جعفر الصادق فما هكذا يخاطبنا ولا بمثل دليلك يجادلنا، ولقد سمع من كلامنا أكثر مما سمعت، فما أفحش في خطابنا ولا تعدى في جوابنا... ويسمع كلامنا ويصغي إلينا ويستغرق حجتنا حتى إذا استفرغنا ما عندنا وظننا أنا قد قطعناه أدحض حجتنا بكلام يسير وخطاب قصير يلزمنا به الحجة ولا نستطيع لجوابه رداً، فإن كنت من أصحابه فخاطبنا بمثل خطابه"[٢٢].

ولهذا فان الحوار الديني على المستوى الفكري يدفع اسباب التطرف ومنها عدم قبول

النقد من الآخر ورفض الحوار البنّاء الذي يكشف الحق والحقيقة بعيدا عن التطرف والتعصب.

وهذا ما يجعل الفكر الاجتماعي السياسي الاسلامي يحتوي الواقع كلّه؛ لأنّه يستقطب كلّ مواقع التصور الانساني على أساس المنهج والهدف اللذين يرتكز عليهما هذا الفكر(٢٣).

المطلب الرابع: آثار الحوار الديني على المستوى التربوي والتعليمي:

أولاً: آثار الحوار الديني على المستوى التربوي:

أهمية هذا الدور للحوار الديني إنما يتجلى أكثر اذا عرفنا أن التربية من أفضل الأعمال، وهي العمود للسلوك الاجتماعي وحياة للفرد والمجتمع، وهي مهمة الأنبياء والرسل، وقد قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾(٢٤) قال الطباطبائي:" ولا منافاة بين كونه ﷺ من الأميين مبعوثا فيهم وبين كونه مبعوثا إليهم وإلى غيرهم وهو ظاهر، وتلاوته عليهم آياته وتزكيته وتعليمه لهم الكتاب والحكمة لنزوله بلغتهم وهو أول مراحل دعوته ولذا لما استقرت الدعوة بعض الاستقرار أخذ صلى الله عليه وآله وسلم يدعو اليهود والنصارى والمجوس وكاتب العظماء والملوك"(٢٥).

وقال ابن كثير: وَيُزَكِّيهم، أي: يطهرهم من رذائل الأخلاق ودَنَس النفوس وأفعال الجاهلية، ويخرجهم من الظلمات إلى النور وهي التربية.(٢٦)

ويتوخى الدين الاسلامي من التربية والتعليم بناء شخصية الإنسان، والتربية والتعليم هما أساس تثبيت التكوين الفطري عند الإنسان كما ورد في الحديث الشريف: "كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه"(٢٧)، فأي انحراف أو قصور في التربية يكون الشرارة الأولى التي ينطلق منها انحراف المسار عند الإنسان، والفهم الخاطئ للدين يؤدي إلى خلق صورة من الجهل المركب، ويجعل الفرد عرضة للانحراف الفكري والتطرف في السلوك، وتربة خصبة لزرع بذور الشر وقتل نوازع الخير، بل ومناخا ملائما لبث السموم الفكرية من الجهات المغرضة، لتحقيق أهدافهم.

ويقع عبء هذا الأمر ومسؤوليته على المؤسسات التي تتولى تربية الأفراد وتعليمهم وتثقيفهم في جوانب التكوين التربوي العام، أو التربوي الخاص كالتعليم الديني، سواء أكانت تلك المؤسسات ذات مسؤولية مباشرة أم ذات مسؤولية غير مباشرة كوسائل الإعلام بشتى أنواعها، وهذه المؤسسات مجتمعة هي المعنية بتنفيذ سياسات التعليم والتربية في مجتمعاتها، وكل قصور في القيام بواجبها وأداء مهمتها في المجتمع يؤدي إلى قصور في التكوين التربوي الصحيح، فإن انحرافها يؤدي إلى أسوأ من تلك النتيجة؛ فحينما يتدنى مستوى الأداء في تلك المؤسسات، بدلا من ترسيخ القيم والمبادئ النبيلة بين الأفراد، وتنمية الوعي في تعظيم حرمة الدين والأموال والأنفس والأعراض والعقول، وتنمية مداركهم في الحوار البنّاء والسماحة والتخاطب والعمل على جمع الكلمة.

قد استخدم القرآن الكريم أساليب متعددة للحوار من أجل توصيل أهدافه التربوية للناس فاستخدم الحوار الوصفي والحوار القصصي والجدلي والتعبدي، وكان لهذه الأسباب البديعة الأثر البالغ في نفوس الناس فما استمع أحد لهذا القرآن إلا وبادر بالنطق في الشهادة معلنا دخوله في هذا الدين وملتزما بكل ما فيه من أوامر ونواهي[٢٨].

ثانياً: آثار الحوار الديني على المستوى التعليمي:

ولعل من أهم آثار الحوار الديني في الجانب التعليمي هو معرفة الآخر بشكل أفضل وأكمل، فإنّ الحوار مع الآخر -أيًا كان الآخر دينه وجنسه ولونه ومذهبه وثقافته ولكن بالخصوص اهل الكتاب الذين أمرنا الله تعالى بمحاورتهم بالتي هي أحسن ـ أمر مطلوب للتعايش الإنساني، وضرورة تقتضيها الفطرة البشرية والحاجات المجتمعية لصياغة نسيج لشبكة علاقات لا يمكنها أن تستقر إلا بالحوار والتفاهم.

وأيضاً يجب الاشارة إلى إن من أهم أصول الحوار افساح المجال للآخر في بيان ما يؤمن به من خلال كتبه وثقافته وتحري الحجة والبرهان في الكلام، ولا قيمة لحديث أو كلام يعوزه الدليل والبرهان. ولكي يكون الحوار منتجا ومفيدا لابد لطرفي الحوار أو أطرافه من بناء أفكارهم وآرائهم على الأدلة الواضحة والبراهين القاطعة، قال تعالى آمرا نبيه ﷺ بمطالبة الكفار بالدليل: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي﴾[٢٩]، قال الفخر الرازي في تفسير الآية: "دلت الآية على أن المدعي سواء ادعى نفيا أو إثباتا فلا بد له من الدليل والبرهان"[٣٠].

كذلك يجب الالتفات إلى انه من يتصدى للحوار مع الآخر لابد له من التسلح بالعلم، خاصة العلم بموضوع الحوار وتفاصيله وحيثياته؛ لأن الجهل بموضوع الحوار وأساسياته يؤدي بالمحاور إلى الجدال في شيء لا يدركه بشكل كامل ولا يقف على جذوره وخلفياته وأبعاده، كما أن على المحاور أن يكون مدركا لوجهة نظر الطرف الآخر حتى لا يتكلم في أمور خارجة عن دائرة موضوع الحوار، وقد جعل القرآن الكريم العلم من الأمور الضرورية التي يجب توفرها في المحاور، وعاب على من يجادلون في الأمور بغير علم، قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾[٣١]، وايضاً يجب أن يستند إلى معايير يؤمن بها الطرفان، فإذا كان حواراً بين مؤمنين وملحدين كان المعيار هو العقل والحقائق العلمية المتفق على التسليم بها، وإذا كان بين مؤمنين بوجود الخالق أضيف هذا إلى تلك المعايير، وأضيف إليه أيضاً المحاكمة إلى حقائق دينية يؤمن بها كل من الفريقين، وإذا كان بين منتسبين إلى دين واحد كالإسلام مثلاً كانت المعايير مراجع دينهم الذي به يؤمنون[٣٢].

وحقيقة الامر ان الحوار الديني الهادف هو الذي يتيح للاخر في طرح آراءه العلمية وفق ثوابته ومصادره يساعد الآخر في تعليمه لما خفي عنه وجهل به، وهذه الفائدة للحوار من أهم العوامل التي تساعد الانسان على التعلم، وقد مدح الله تعالى في القرآن الكريم الذين يستمعون إلى آراء الآخرين بكل دقة، قال تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[٣٣]، والآيتان بمثابة شعار قراني، توضح حرية الفكر عند المسلمين، وحرية الاختيار في مختلف الأُمور، وضرورة الحوار والاستماع من الآخر للتعلم، فالإسلام ينتهج سياسة الأبواب المفتوحة في هذا المجال، إذ يعتبر الذين يحاورون الآخرين ويستمعون لآرائهم هم عباد الله الحقيقيين الذين لا يرهبون سماع أراء الآخرين، ولا يستسلمون لشيء من دون أي قيد أو شرط، ويبشّر الذين يستمعون القول ويتبعون أحسنه، الذين لا يكتفون بترجيح الجيد على السيء، وإنّما ينتخبون الأحسن ثمّ الأحسن من كلّ قول ورأي حتى وإن كان مخالف لما يؤمن به، فالآية في البداية تقول: {بشر عباد} ثمّ تعرّج على تعريف أُولئك العباد المقربين بأنّهم أُولئك الذين لا يستمعون لقول هذا وذاك ما لم يعرفوا خصائص وميزات المتكلم، والذين ينتخبون أفضل الكلام من خلال قوّة العقل والإدراك، إذ لا تعصب ولا لجاجة في أعمالهم، ولا تحديد وجمود في فكرهم

وتفكيرهم، إنّهم يبحثون عن الحقيقة وهم متعطشون لها، فأينما وجدوها استقبلوها بصدور رحبة، ليشربوا من نبعها الصافي من دون أيّ حتى يرتووا(٣٤).

يقول الطباطبائي: " فقوله: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ مفاده أنهم طالبو الحق والرشد يستمعون القول رجاء أن يجدوا فيه حقا وخوفا أن يفوتهم شيء منه"(٣٥).

ولهذا قال أمير المؤمنين عليه السلام: "الحكمة ضالة المؤمن، فخذ الحكمة ولو من أهل النفاق"(٣٦)، يقول مكارم الشيرازي: " والطريف في الأمر أنّ القرآن الكريم حصر في الآية المذكورة أعلاه الذين هداهم الله بأُولئك القوم الذين يستمعون القول ويتبعون أحسنه، كما أنّه اعتبر العقلاء ضمن هذه المجموعة، وهذه إشارة إلى أنّ أفراد هذه المجموعة مشمولون بالهداية الإلهية الظاهرية والباطنية، الهداية الظاهرية عن طريق العقل والإدراك، والهداية الباطنية عن طريق النور الإلهي والإمداد الغيبي، وهاتان مفخرتان كبيرتان للباحثين وراء الحقيقة ذوي التفكير الحرّ"(٣٧).

أهم النتائج

بعد بينا آثار الحوار الديني على المستوى الثقافي والفكري والتربوي توصلنا إلى عدة نتائج من اهمها:

١- أتضح من خلال البحث ان معالم المنهج الحواري في القرآن ينطلق من حقيقة الاختلاف بين البشر، وما يستلزمها من حرية الإنسان لينتهي إلى تأكيدها، وبالتالي فهو منهج لا يهدف أكثر من دعوة الناس إلى التعرف على الحق، واكتشاف التي هي أقوم، فالحوار وفق المنهج القرآني لا ينطلق من منطق الوصاية على الآخر، أو مجرد التعريف بما عند المحاور، إنما هي قضية بحث عن الحق أين كان، وهذا لا يعني أن الانسان عندما يدخل في حوار مع الآخرين يكون قد تخلّى عن تصوراته، إنما الموضوعية تتجلّى في الاستعداد التام للتخلي عن جميع التصورات، وتبني نقيضها إذا ما اتضح أنَّ الحق مع الرأي الآخر، وهذا الاستعداد ليس مجاملة إنما هو تعهد يعبر عن مصداقية الانسان في اتباع الحق، وهو تكليف إلهي صريح في محاورة الآخر، ولهذا وصف الله تعالى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه بانهم أولوا الالباب.

٢- توصلنا كذلك إلى ان معرفة الأسس القرآنية أمر ضروري لنجاح الحوار أو على الأقل عدم تحوله إلى الضد من أهدافه السامية، وتساعدنا في معرفة أسباب التردي والفشل في مختلف الحوارات التي تجري في واقعنا بين المسلمين أنفسهم أو بين المسلمين وغيرهم، فهي حوارات يغلب عليها منطق الوصاية وإثبات الوجود؛ لذا فهي أبعد ما تكون عن القصد إلى الحق، وهذا أمر طبيعي إذا فقد المحاور أهم أسس الحوار وهو الحرية الفكرية التي يستطيع الفرد من خلالها اتخاذ قراره الفكري، وقد جعل الله تعالى تلك القواعد بمثابة الأُطر الموضوعية لكل حوار ناجح بالخصوص مع اهل الكتاب.

٣- مراعاة الموضوعية في آداب الحوار قولا وفعلا، والابتعاد عن التعصب الديني الذين ينمّ في أغلب الاحيان عن الجهل والتقليد الاعمى، بل هو المنبع الحقيقي له، كما انه الحاضنة الدافئة للفشل في القدرة على الحوار مع الآخر، ولذلك استهدفته بعثة الرسل والأنبياء قبل اي شيء آخر، وأوضحنا بعض الآيات في القرآن الكريم التي تشير إلى أن الجهل هو السبب وراء التعصب والعناد واللجاج.

٤- الحوار الديني الصحيح هو الذي يرفض استخدام العنف بشتى أنواعه مع أحد من الناس ولا سيما مع من يحاورهم من أهل الكتاب، بل وغيرهم، ولهذا فان الحوار الديني على المستوى الفكري يدفع اسباب التطرف ومنها عدم قبول النقد من الآخر ورفض الحوار البنّاء الذي يكشف الحق والحقيقة بعيدا عن التطرف والتعصب، وهذا ما يجعل الفكر الاسلامي يحتوي الواقع كلّه؛ لأنّه يستقطب كلّ مواقع التصور الانساني على أساس المنهج والهدف اللذين يرتكز عليهما هذا الفكر.

هوامش البحث

(١) لسان العرب: ابن منظور،ج٤، ص٢١٧.
(٢) الصحاح في اللغة: باب الجوهري، حور،ج١،ص١٥٤.
(٣) سورة المجادلة،١.
(٤) المفردات في غريب القرآن: الراغب الاصفهاني، ج١،ص١٧٧.
(٥) ضوابط المعرفة والاستدلال والمناظرة: عبد الرحمن الميداني، ص٣٦١.
(٦) ظ: أصول الحوار: رقية العلواني، إعداد الندوة العالمية للشباب الإسلامي، وفقه الحوار مع المخالف في ضوء السنة النبوية، ص٣٧.
(٧) رسالة ماجستير منهج القرآن: عبد الله بكلي، ص٢٠.
(٨) فنون الحوار والاقناع: ديماس محمد راشد، ص١١.
(٩) سورة الكهف،٣٤.
(١٠) سورة الكهف،٣٧.
(١١) المجادلة/ ١.
(١٢) ظ: منهج القرآن في حوار الأديان الحوار الاسلامي المسيحي أنموذجا: بكلي عبد الله، ص٤٦.
(١٣) المصدر نفسه.
(١٤) لا اكراه في الدين: جودت سعيد، ص٢٨.
(١٥) ظ: الحوار والتفاعل الحضاري: التويجي، ص٨٥ .
(١٦) سورة الانعام،٧١.
(١٧) ظ: الحضارة الاسلامية: الميداني، ص ١٣٧.
(١٨) سورة الحجرات، ١٣.
(١٩) ظ: الحملة الصليبية على العالم الاسلامي والعالم: عبد الملك منصور، ج٤، ص،٢٨.
(٢٠) آل عمران،١١٣.
(٢١) تفسير الامثل: مكارم الشيرازي، ج٢،ص٦٥٤.
(٢٢) بحار الأنوار: المجلسي، ج٣،ص٥٨.
(٢٣) فلسفة الصدر: اللاوي محمد عبد الكريم،ج٩،ص٥ .
(٢٤) سورة الجمعة:٢
(٢٥) الميزان في تفسير القرآن: الطباطبائي، ج١٩، ص٢٦٤.
(٢٦) ابن كثير: ابن كثير، تفسير ج١، ص٤٦٤.
(٢٧) الكافي: الكليني، محمّد بن يعقوب، ج ٢، ص ١٣.

وراجع: أحمد، مسند أحمد: ابن حنبل، ج ٢، ص ٢٣٣ و ٣٩٣ و ٤٨١ و ج ٣، ص ٣٥٣؛ البيهقي، أحمد السنن الكبرى، بن الحسين، ج ٦، ص ٢٠٢ و ٢٠٣.

(٢٨) . نظرات في التربية الاسلامية: عز الدين التميمي، ص١٠٤.

(٢٩). سورة الانبياء، ٢٤.

(٣٠) . مفاتيح الغيب: الفخر الرازي، ج٣، ص٤.

(٣١) . سورة الحج، ٨.

(٣٢) . العليان: حوار الحضارات، ص٨٧.

(٣٣) . سورة الزمر، ١٧ – ١٨.

(٣٤) . تفسير الامثل: مكارم الشيرازي، ج١٥، ص ٤٩.

(٣٥) . تفسير الميزان: الطباطبائي، ج١٧، ص١٤٢.

(٣٦) . نهج البلاغة، الخطبة ٨٠.

(٣٧) . تفسير الامثل: مكارم الشيرازي ج١٥، ص٥٠.

قائمة المصادر

- القرآن الكريم خير ما بدأنا به.

١. أصول الحوار: رقية العلواني، إعداد الندوة العالمية للشباب الإسلامي، وفقه الحوار مع المخالف في ضوء السنة النبوية.

٢. البداية والنهاية: ابن كثير، الحافظ ابن كثير إسماعيل بن عمر الدمشقي(ت: ٧٧٤هـ)، مطبعة السعادة – القاهرة، د.ت.

٣. بعض قضايا الحركة الوطنية في الخليج: عبد الملك خلف التميمي، مجلة المستقبل العربي، بيروت، العدد ٦١/ مارس ١٩٨٤

٤. تفسير الامثل: مكارم الشيرازي الشيرازي: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ط: ١، دار الحديث، قم- ايران، ١٤٢٦هـ.

٥. تفسير الميزان: الطباطبائي محمد حسين (ت: ١٤٠٢هـ)، مؤسسة الاعلمي، بيروت – لبنان..

٦. عوامل قيام الحضارات وانهيارها في القرآن الكريم الألفي، الهيئة المصرية العامة للكتاب-القاهرة، ٢٠١٩

٧. الكافي: الشيخ الكليني(ت: ٣٢٩هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، الطبعة: ٣، دار الكتب الاسلامية، طهران، ١٣٦٧ه، ش.

٨. الكامل في التاريخ: ابن الاثير، علي بن محمد بن عبد الكريم الشيباني (ت: ٦٣٠هـ)، تحقيق عمر عبد السلام، ط: ١، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، ١٩٩٧م.

٩. التجديد الاجتماعي: العلويات: الشيخ محمد حسن، تأملات في التأهيل المجتمعي، الطبعة: ١، بيروت، دار الصفوة، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م

١٠. لسان العرب: ابن منظور الافريقي، محمد بن مكرم، الطبعة: ١، دار صادر، بيروت- لبنان.

١١. معجم مقاييس اللغة: القزويني، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، مؤسسة الاعلمي، بيروت - لبنان، بدون تاريخ.

١٢. المفردات في غريب القرآن الأصفهاني، الراغب، الطبعة: الثالثة، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

١٣. نهج البلاغة: الشريف الرضي: شرح: الشيخ محمد عبده، الطبعة: ٤، دار البلاغة، بيروت، ١٤٠٩هـ.